شهريات

بقلم رئيس التحرير

في القصة الجزائرية الحديثة

تحاول الرواية والقصة في المغرب العربي ، بصورة عامة ، وفي الجزائر ، بصورة خاصة ، أن « تحرقا المراحل » ، لانهما لم تستطيعا ـ بسبب من الاستعمار الفرنسي ـ أن تتبعا المسار التطوري الذي تبعه الفن القصصي في المشرق العربي .

وقد أتيح لي في الشهر الماضي ، وانا في زيارة للجزائر ، أن أتابع انتاج الكتاب الجزائريين في الرواية والقصة القصيرة ، فوجدت ان هذا الفن يشهد منذ السبعينات مرحلة من الخلق والابداع تعوض عما فاته من قبل ، وتقربه من المستوى الفني والموضوعي الذي بلغته القصة الجزائرية باللغة الفرنسية ، هذه القصة التي شهدت على أقلام كاتب ياسين ومحمد ديب ومالك حداد ومولود معمري وآسيا جبار ورشيد بوجدرة وعائشة لمسين وسواهم مرحلة مشرقة يتميز بها الادب الجزائري الحديث ، حتى على صعيد عالمي .

وراصد النتاج الجزائري ، في هذا الميدان ، يتبين ان الثورة الجزائرية تظل الموضوع الاثير الذي يحرك أقلام الروائيين والقصاصين . ولا عجب في أن يكون الادب الجزائري والثورة الجزائرية شقيقين توأمين وقد تعايشا في خندق واحد ، فكانت المقاومة والنضال سمة مشتركة للحياة والفن .

قبل السبعينات ، كان قد شارك في نشأة القصة الجزائرية القصيرة احمد رضا حوحو ، ثم أبو القاسم سعد الله والجنيدي خليفة وحنفي بن عيسى وأبو العيد دودو وعبد الله الركيبي وعثمان سعدي. ومعظم قصص هذه الحقبة تصور ثوارا جزائريين يعيشون حياة الابطال حين تقتضي ضرورة الكفاح ، وحياة الناس العاديين في أوقاتهم الاخرى . وهذا ما تكشف عنه بصورة خاصة اقاصيص مجموعة « نفوس ثائرة » لعبد الله الركيبي ، و « بحيرة الزيتون » لابو العيد دودو .

وبعد السبعينات ، شهد الادب القصصي الجزائري تطورا جديدا على أيدي عبد الحميد بن هدوقة وعبد المالك مرتاض والطاهر وطار . ولعل هؤلاء الكتاب خير من يمثل تيارات القصة الجزائرية الحديثة ، على اختلافها . فروايتا « نار ونور » و « دماء ودموع » لمرتاض نموذج للتيار التقليدي الرومانسي الانشائي الذي تجاوزته القصة العربية منذ فترة طويلة . وروايتا « ريح الجنوب » و « نهاية الامس » لبن هدوقة تأخذان بالتيار الواقعي وتصوران التناقضات الاجتماعية والعلاقات البشرية المتنازعة في مجتمع ينهض متحررا من استعمار ربض طويلا على صدره . وهذا الروائي يبرع في وصف الجو القروي والريفي . أما التيار الذي يتبناه الطاهر وطار ، فهو الواقعية الاشتراكية التي يعالج في اطارها فنه وموضوعاته ، ويثبت هنا كفاءة لا شك فيها تجعله يحتل مكانه في صفوف المبدعين أمثال حنا مينه وسليمان فياض وغائب طعمه فرمان وسواهم . وقد صور وطار في « الزلزال » و « اللاز » الصراعات الاجتماعية والعقائدية التي عصفت بالمجتمع الجزائري في أثناء الثورة وبعدها ، كما ان تعلقه بتصوير الثورة وتمجيدها لم يمنعه من تصوير الآفات الاجتماعية التي رافقتها ، ولا سيما علاقة الهيمنة والقمع التي يمارسها الرجل على المرأة .

ويستحق الطاهر وطار شهادة تقدير بما يمتاز به أدبه القصصي والروائي من جراة في طرح الموضوعات تجلت منذ احدى قصصه الاولى « الضابط والزنجية » (التي نشرت في « الآداب » منذ سنوات) ، ومن لغة متوترة وأسلوب مشوق وتكنيك روائي متقدم .

كما تستحق القصاصة الرائدة زهور ونيسي اشارة خاصة الى اسهامها في القصة الجزائرية القصيرة، والى تركيز رؤيتها الفنية على « الضمير الشعبي للثورة الجزائرية » ، على حد تعبير الدكتورة بنت الشاطىء في مقدمة مجموعة زهور « على الشاطىء الآخر » .

وفي السنوات الخمس الاخيرة ، برزت أقلام شابة لئن كان بعضها يفتقر الى النضج الفني والموضوعي والجودة اللغوية ، فهي تحمل وعودا كثيرة للادب القصصي في الجزائر . وقد أثارت اهتمامي رواية

مرزاق بقطاش « طيور في الظهيرة » التي يصور فيها تصويرا موفقا في الغالب عالم الاطفال الجزائريين الذين يعيشون أحداث الثورة بفضول وغموض . وأعتقد ان هذه من الروايات العربية النادرة التي تحاول الغوص في نفسيات الاطفال وتصوير تطوراتها وتفتحها للوعي والحياة .

كما ان اسماعيل غموقات يحاول في « الاجساد المحمومة » أن يصور مجتمع الشباب في صراعه بين العقل والجسد . وقصة « الجنين العملاق » في هذه المجموعة ، هي ، فيما ترمز اليه ، فضح لعالم الاستغلال والحقارة البشرية .

وقد قرأت مؤخرا محاولات جيدة أحيانا ومقبولة أحيانا أخرى ، وبعضها للشريف الادرع في مجموعته « ما قبل البعد » . وهو في هذه القصة من المجموعة يدين الاقطاعية ويدعو للثورة عليها ، ولكن قصصه تشكو بالاجمال ما يشبه الابهام والانغلاق ، كما انها تعاني من الاخطاء اللغوية .

وقرأت كذلك بعض القصص المبشرة لمحمد صالح حرز الله ومولود عاشور والسائح الحبيب والزاوي محمد أمين ومصطفى فاسي وجروة ع. وهبي وزهير العلاف . وقد نشرت هذه القصص في عدد « الآداب » السابق الخاص بالادب الجزائري الحديث ، وهي تثبت تفوق الفن القصصي في الجزائر على فن الشعر .

والملاحظة الاولى التي تلفت النظر في انتاج هذا الجيل الجديد من القصاصين والروائيين اقتحامه أسوار « المحرمات » التي لم تكن الاجيال السابقة ـ باستثناء كتاب اللغة الفرنسية الجزائريين ـ تجرؤ على اقتحامها. وهذه الظاهرة تنبىء عن وعي بضرورة معالجة موضوعات الكبت والحرمان اللذين تعاني منهما الاجيال الجديدة ، واللذين يورثان مجموعة من العقد تعيق انطلاقة المجتمع الذي لا تحتل فيه المرأة مكانها الطبيعي ، ولا تشارك بالتالي ، في تطويره .

كما ان التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثورة الزراعية تجد أصداءها في انتاج هذا الجيل الملتزم من أدباء الشباب .

والملاحظة الثانية ان معظم هؤلاء الكتاب يتبنون الاساليب الجديدة في السرد القصصي والروائي . ويعتمدون الشفافية والرمز والايحاء ، مبتعدين قدر الامكان عن التقريرية والمباشرة .

وبعد . فان الادب الجزائري الحديث ، ولا سيما في ميدان القصة والرواية ، بدأ يأخذ مكانه في انتاجنا الثقافي . ويفرض وجوده بحيث تنتفي لديه أية حاجة للشكوى من ان « المشارقة » لا يولونه القدر الكافي من الاهتمام .

سهيل ادريس

الثقافة الجديدة

مجلة فكرية ابداعية عربية

تصدر في المغرب

تشرف عليها جماعة من المثقفين التقدميين المغاربة

المدير المسؤول : محمد بنيس

الاشتراك في الدول العربية وأوروبا ٥٠ درهما أو ما يعادلها

اشتراك المؤسسات المساندة ١٥٠ درهما أو ما يعادلها

العنوان : ص.ب ٥٠٥ المحمدية ـ المغرب